

التناص الديني في رواية "جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي

The religious intertextuality in the novel of " his majesty the great father" habib mounsi

معلم صفاء*1

1 جامعة تبسة (الجزائر)، Safa.maalem@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ المراجعة: 2021/04/15

تاريخ الإيداع: 2020/08/22

ملخص:

نتناول في هذه الورقة البحثية موضوع التناص الديني الذي يعتبر آلية تدعم الوجهة الإسلامية للكاتب ، يعتمد عليها كرسالة تستر وراء عمله الإبداعي ، فالتنهل من النص القرآني ومن الحديث النبوي هو حجة الكاتب في تفسير مهمات عمله وصولاً إلى نتيجة نهائية تدافع عن المعتقد الأصلي الذي يناسب و هدف رسالته ، كما تكمن أهمية هذه الدراسة في المقاربة بين مضمون رواية جلالته الأب الأعظم وما يناظرها من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ، فيما يخص قصة موسى عليه السلام مع الطاغية الفرعون و أحاديث فتنة المسيح الدجال .

الكلمات المفتاحية: التناص ، التناص الديني ، القرآن الكريم ، الحديث النبوي

Abstract

In this paper , we deal with the subject of religious intertextuality , which is considred a means of supporting the Islamic orientation of the author , which he adopts as a message that is hidden behind his creative work, such as the proohetic hadith is the author's argument in interpreting the ambiguitier of his work, and a final conclusion that defends the original belief that corresponds to the purpose of the message . the importance of this study also lies in the approach between he content of the novel his majesty the great father, and the corrsponding quranic verses and prophetic hadiths, with regard to the

story of moses –peace be up on him – with the tyrant pharaoh, and the prophetic hadiths that speak of the affliction of the antichrist .

Key words: intrtextuality ,religious intertextuality , quran , prophetic hadiths.

* المؤلف المراسل .

تقديم:

يعد التناص من المصطلحات التي سجلت حضورها في حقل الدراسات الغربية والعربية، و التي اختلفت النظريات والتفسيرات والمفاهيم حوله، وذلك باختلاف التيارات الفكرية والمدارس الأدبية. إذ ظهر على يد (جوليا كريستيفا) عام 1969 الذي استنبطته من مفاهيم باختين، الذي استخدم مصطلح (الحوارية) و(تعدد الأصوات) دون أن يستخدم مصطلح التناص، حيث ترى (كريستيفا) أن «كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى»¹. فالتناص عبارة عن عملية تداخل وتمازج مجموعة من النصوص والذي ينتج عنها ولادة نص إبداعي جديد. فهو من أكثر المفاهيم استخداما في الدرس النقدي، والذي يقصد به التفاعل بين نص وآخر أو عدة نصوص، مما يضمن للنص الجديد زيادة في المعاني عن النصوص السابقة التي تشكل وتمثل له النواة الأولى، وقد نظرت إليه الدراسات النقدية الحديثة باعتباره إحدى آليات التعبير والبناء النصي.

أولا: التناص مع القرآن الكريم:

يعد الموروث الديني أول مصدر من المصادر التي يوظفها الأديب في إبداعه الأدبي، إذ لا يوجد نص بريء من التأثير بالنصوص القديمة أو المعاصرة له، فهو يتشكل من خلال تجارب حياتية وقراءات ومرجعيات مختلفة وسابقة، ومنه النص الروائي الذي تميز بالقدرة على احتواء النصوص التراثية وتحويلها بفعل فني وفكري إلى إبداع أدبي يحقق غايات جمالية ودلالية، فاستلهمت من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهذا ما يسمى بالتناص الديني «ونعني به تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية... مع النص الأصلي للرواية بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الروائي وتؤدي غرضا فكريا أو فنيا أو كليهما»².

فهذا التداخل بين النصوص يثري العمل الأدبي ويكسبه ميزات وخصائص شكلية وفنية جديدة، ويكسر نمطيته، وهذا ما ينطبق على الرواية كونها من أبرز الأجناس الأدبية التي مارست التناص بشكل أوسع أكثر من غيرها؛ نظرا لما تميزت به من طول ومن تعدد الأحداث والشخصيات، فكلها عوامل ساهمت في اعتمادها للتناص والاشتغال على هذه الآلية، فأبقت على الموروث وارتكزت عليه وعلى أشكاله «وليكون استلها الموروث فعلا إبداعيا استراتيجيا عمد الروائي إلى استحداث آليات قراءة النص التراثي وتوظيفه ليعبر عن الواقع المعاش وفق منظور أدبي ورؤية أيديولوجية واجتماعية تاريخية وعقائدية.. فتنتج خطاب روائي متعلق بنص تراثي دلالي وفنيا وجمالي»³.

والقرآن كنص مقدس منهل الشعراء ومنبع الأدباء، وقاعدة صلبة يتكئ عليها كل منهما في تبليغ فحوى أدبه للمتلقي، بفضل ما يعكسه من حالات فكرية متعددة تم إنتاجها في مراحل زمنية مختلفة، ومازالت تحمل قابلية الانفتاح على مراحل زمنية لاحقة ومستقبلية. يقول (أدونيس): «...اسمه الوحيد الاسم الذي سمي به نفسه الكتاب، أي أنّ الكتاب هنا اسم إلهي، أو هو اسمه لغة وكتابة، ومعنى ذلك أنه مطلق: لا يدرك معناه ولا

يبدأ ولا ينتهي، وهو بوصفه مطلقا يتجلى في زمان ومكان، متحرك الدلالة مفتوح بلا نهاية، إنه الأبدية المتزمنة، إنه ما وراء التاريخ الذي نستشفه، ونقرؤه عبر التاريخ»⁴، فهو يفيض بالصياغة الجديدة والمعنى المبتكر ويتسم بفصاحة وبلاغة أعجزت بلغاء العرب، ليسهم في ترسيخ جوهر الدين الإسلامي ونشر تعاليمه السمحاء. كما أكدت المدارس الأدبية الحديثة ومناهجها المعاصرة أن النص لا يولد من عدم بل هو مجموعة خراف مهبومة عند بعض المنظرين، أو هو تعالق وتداخل وتمازج عند البعض الآخر، ليولد نص جديد. وانطلاقا من هذا وذاك فإن سعي الكاتب وراء تناصه مع القرآن يرجع لغايات عدة منها:

- ترقية أبعاده اللغوية والفكرية.

- العودة إليه لأنه العروة الوثقى التي نتمسك بها.

- وأيضا القرآن الكريم مصدر إلهام، ومعين ثقافي ثري بأساليب مختلفة ومتنوعة لا تنضب.

يقول (ناصر حامد أبو زيد) في كتابه " مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن " ذلك لأن «القرآن الكريم هو نص لغوي يمكن أن نصفه بأنه يمثل تاريخ الثقافة العربية نصا محوريا وليس من قبيل التبسيط أن نصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة (النص)، بمعنى أنها حضارة أنبتت أسسها وقامت علومها وثقافتها على أساس لا يمكن تجاهل مركز (النص) فيه»⁵، ويضيف أيضا قائلا أن «ليس معنى ذلك أن (النص) بمفرده هو الذي أنشأ الحضارة، فإن النص أيا كان لينشئ حضارة ولا يقيم علومها وثقافتها، إن الذي أنشأ الحضارة، وأقام الثقافة جدل الإنسان مع الواقع من جهة وحواره مع النص من جهة أخرى»⁶. ولا يمكن للأديب المسلم أن يتملص من هويته ولا من مقومات ثقافته، فهو يستمد شاعرية ذاته من النص القرآني؛ إذ يصور خلجات النفوس وتقلبات القلوب وكل مظاهر الحياة الخاصة والعامة، وصوره تغني عن أي تعبير آخر، لذلك نجد تناصه مع القرآن واضحا جليا أو نلمسه من خلال المحتوى أو عبر القصص والأحداث أو الأشخاص هذا إن لم يقتبس المبدع مباشرة من مفرداته وآياته. والغالب في التناص القرآني هو الأخذ من قصصه، ذلك أنها تحمل دلالات عدة كأن تروي سير الأنبياء والرسل والصالحين أو نهايات القوم الغاشمين، وتعمل على تثبيت الفائدة المرجوة كون ذاكرة الإنسان تعتمد على الصورة الذهنية التي تخلفها التجارب والمحكيات.

وهكذا يمكننا القول أن القرآن الكريم هو الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها الكاتب في التأصيل لأدبه، خاصة وإن كان يدعو إلى رؤية إسلامية؛ فهو النص المقدس المتعالي الذي يستفيد من قيمه كمصدر رباني يدحض به المتلقي، ويُفحم به ذريعتيه وتحججه وانتقاداته ويسدُّ له ثغراته وفجواته ويوضح له إبهامه ويملأ فراغات فضوله، لأنه قول الله عز وجل الذي يعلو ولا يُعلا عليه.

وبناءً على ما تقدم وضمن هذا السياق يمكننا مكاشفة رواية جلالته الأب الأعظم للروائي الجزائري (حبيب مونسي)، التي صدرت عن دار الغرب للنشر والتوزيع بوهران عام 1999، والتي تتكئ على مرجعيات مختلفة ومنها المرجعية الدينية والتي تبرز بشكل واضح بين ثنايا ودفتي الرواية، حيث حاول مونسي أن ينجز رسالة تبليغية تحمل وراء أسطرها هدفا إنسانيا ساميا، وذلك عن طريق مسائل غيبية متأصلة في عقيدتنا الإسلامية مستلهمة من خلال النص القرآني والحديث النبوي الشريف. وإذا كانت الكتابة الروائية في حاجة إلى

مثل هذه التفاعلات والتداخلات المتنوعة ؛ فإنّ حبيب مونسي قد عمد إلى الامتصاص من النصوص باعتبارها مرجعيات دينية تعزّز الرؤية الإسلامية للرواية في مواجهة مفرزات الراهن الخاضعة لهيمنة العقل المادي « فإذا كان الإله الحقيقي للحضارة الغربية هو النماء المادي، فإن الحضارة الإسلامية منفتحة على العالم ومرجعها الأول هو القرآن الكريم، يحث المسلمين على السير في الأرض والتعرف على الآخر، والتماس الطريق إلى التعاون مع ذلك الآخر »7، لذا فالكاتب الذي اعتمد على القرآن الكريم ينبغي أن يكون على دراية واستيعاب للمضامين والدلالات القرآنية، وهذا ما اتبعه مونسي في ربط تلك النصوص بالواقع.

أ - تمثل القصة القرآنية في رواية جلالته الأب الأعظم (استدعاء شخصية فرعون):

أخبر القرآن الكريم عن طغيان فرعون وفساد حكمه وأخلاقه، كالفجور والكفر والتكبر والوحشية والإفك والتجبر، وإشاعته الفتنة والفحشاء والمنكر بين الناس، حيث ذكرت نماذج من تعذيبه لبني إسرائيل، حين اتخذهم عبدا مستذلّين وقوما خائفين مستضعفين واستخف بهم، يقول تعالى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ٥٤} 8. وتركهم مشدوهين أمام ملكه يرتجفون من الخوف مفزوعين، جيوش كثيرة تشدّ ملكه، مخدوعين أمام معابده الشامخة والأهرام التي كان يشد زمامها والثورة الطائلة التي لا تكاد تحصى ولا تعدّ، وبالمقارنة مع أفعاله الشنيعة وأكاذيبه الفضيعة لم يستطع بنو إسرائيل إلا الانحناء في حضرة عُتُوّه، « فقد صادر عقول المصريين و أفهامهم واعتبر نفسه الوحيد الذي ينطق بالحقيقة والهداية والرشد، وما سواه سفه لا يأبه لقوله، ولا يسمع رأيه، وما ذلك إلا لأنّ الشعب كان خائفا ذليلا ليس من بينهم رجل رشيد، وليس منهم رجل جريء ينطق بالحق ويتفوه بالصدق »9. فكل هذه الصفات التي ارتبطت بفرعون والتي يمكن أن نطلق عليها السمات الفرعونية قد تقاطعت مع صفات بطل الرواية التي يدور حولها موضوع بحثنا ؛ إذ جلالته الأب الأعظم قد عُرف عليه أيضا الطغيان في جميع أرجاء المعمورة، وصف بالتجبر داخل وخارج مملكته، وظلمه للرعية وطغيانه على العالم. سيطر على العقول البشرية واستعبد أجسادهم، كان الموت مصير من يتصدى ويأبى أوامره، قتل فيهم الذات الإنسانية وحطّم أحلامهم وأمانهم وغايتهم، نشر الفتن وأشعل الحروب والدّمار في كلّ بقاع الأرض، وقلب موازين السياسة وكراسي الحكم « فكان الإصلاح بالسيف، والشنق، والسّجن، وكان التطهير بالتصفية الجماعية... وخرجت الشعوب بعدها مرهقة، دامية، لا تلتفت إلى شيء، تكره كل شيء تكره النظام، تكره العلم والثقافة، تكره العقائد والأديان... تتمنى الموت »10. كل هذه السمات آنفة الذكر تطابق قسوة فرعون في الأرض وكفّره وتكبره على بني إسرائيل وطغيانه على الملأ، يقول تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} 11. حيث أن فرعون « تجبر وعتا وطغى وبغى، وآثار الحياة الدنيا، وأعرض عن طاعة الرّب الأعلى »12، وجاء أيضا في القرآن المجيد قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَدِ ١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢} 13. لتؤكد الآيات الكريمة قوة ما كان عليه فرعون من تمكن في الأرض ودمار وهلاك لأهلها، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، يقطع أطراف أجسادهم إربًا إربًا، دون أي رحمة ويصلب كل من أخطأ، يخيفهم ويوهمهم بأنّه يمتلك أرواحهم وكل ما لديهم، فأفقدتهم إنسانيتهم وسلبيهم كرامتهم وعزّتهم وشرفهم وحرّيتهم، حتّى

أصبحت قلوبهم خاوية، وصارت عقولهم مغفلة مذلولة منهوكة، يقول تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩} 14.

وقد أمر فرعون آنذاك أن تترك البنات، وأن يستغلّ بنو إسرائيل في مشاق الأعمال وأرذلها، «لذا اتخذ إجراءات غير إنسانية وتعسفية بحق بني إسرائيل، تهدف إلى الحد من تكاثرهم من جهة، وتحويل حياتهم حزنا وألما من جهة أخرى.. وتهديم نفسية آباء الأطفال... وانتقلنا إلى النساء المسنّات، فقد فرض عليهم فرعون الخدمة في البيوت، إذلالهن، فكأنّ فرعون أراد أن يدمي قلوب بني إسرائيل» 15. وهي ذات المعاملة التي أمر بها الأب الأعظم في سلطانه؛ انتهك الحرمات، وشرد الأطفال وساق الرجال سوق الهائم، وسعى في الأرض فسادا «... أحرقوا الكتب، أقتلوا الدراويش (...) دمرنا المساجد والكنائس والمعابد (...) لسنا كما يفهم البعض ملحدين لا نؤمن ولكن نحن مؤمنون بجلالتنا.. وأبوتنا العامة للناس أجمعين» (الرواية، ص 61).

وما نجده أيضا مفصلا في أوج أحداث الرواية يقول «تذكر جلالته الأمر الذي أصدره منذ سنوات، والذي يسمح للشركات المنجمية باستخدام الطبقة الدنيا استخداما كليا، وقد سيقّت الجماهير إلى المناجم والجبال والصحارى للعمل مقابل لقمة العيش وحق التكاثر.. أما النساء فقد أشار بعزلهم في معسكرات خاصة قرب مراكز العمل، أما ما ينتج عن ذلك من ذرية يساق إلى أماكن لإنشاء طبقة كاملة بديلة» (الرواية، ص 104). كما أنّه قسم العالم إلى ثلاث وثلاثين طبقة وجعل العرب الفئة المستضعفة الفقيرة والأخيرة، أرخص طبقة وأرذل الشعوب وأدناها «... صحيح أننا قسمنا الشعوب إلى ثلاث وثلاثين طبقة، ولكننا سنفتح باب الترقّي من طبقة إلى أخرى (...) واتركوا الطبقة الأخيرة لتكون خادمة فحسب فهم للأرض وإليها يعودون» (الرواية، ص 64). إنّه ذات النظام في المملكة الفرعونية؛ حيث احتقر فرعون بني إسرائيل وجعلهم شيعا، وشتت أسره وفرقها، ثم جعلهم الطبقة الدنيا الخادمة والمهانة، التي تعمل لخدمته ليلا نهارا دون أي مقابل، كان أملهم الوحيد أن لا يأمر بقطع رؤوسهم، على عكس من يحيطون به في القصر باعتبارهم النبلاء الذين يتمتعون بقليل من الكرم، والذين يقدمون ولاءهم في كل يوم، بل في كل لحظة، «يدار الحكم من قبل فرعون، والفئة التي اختارها لمساعدته في تدبير شؤون البلاد، وتلك الفئة موالية له تماما، تنقذ إجمالا كل ما يمليه عليها من قوانين وأحكام، دون أي مناقشة، وفي الجهاز أيضا رئيس للجيش يعمل من أجل تدعيم سلطة فرعون» 16.

يقول المولى سبحانه وتعالى: {طَسَمَ ١ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذُبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤} 17.

حيث تدل الآية على تقسيم فرعون لشعبه، ونظامه المستبد المتحاييل على الرعية «وجعل أهلها شيعا، أي قسم رعيته إلى أقسام، وفرق وأنواع، يستضعف طائفة منهم، وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض، وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر، يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأدناها» 18. لا ولم يكفه هذا وذاك، بل زاد بطشة ووقاحة، والأدهى والأمر من ذلك دعا الحشود من بني إسرائيل وجمعهم في فناء معبده،

القوي منهم والضعيف، الخاص والعام، لينفخ ريشه من فوق برجه العاجي، مدعيا الألوهية، يقول تعالى: {ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَى ٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤} 19.

هي ذات الربوبية المزعومة والتطاول البشع والطغيان الوقح الوارد في الرواية، «وها نحن في أعينهم أرفع من تلك الصورة التي رسموها لأربابهم في أذهانهم (...) إنهم يريدون ربا من هذا الطراز...، وقد قدمنا إليهم الرب المطلوب» (الرواية، ص 59).

ب - تمثل القصة القرآنية في رواية جلالته الأب الأعظم (استدعاء شخصية النبي موسى):

من هنا وداخل هذه الملابس انطلق فكر (حبيب مونسي) في وضع ردع ومنافس لجلالته الأب الأعظم، فقام بتوظيف شخصية (موسى) في فضاء الأحداث وجعل هذه الشخصية ذات تأثير في مملكة جلالته، حيث هناك مماثلة للنص القرآني؛ فإن موسى عليه السلام كان مخلص بني إسرائيل من الذل والهوان وبطش فرعون وجبروته، «إن يكن خلاصا فالنبي موسى خلص بني إسرائيل من الذل والهوان وجمع شملهم ونظم صفهم» (الرواية، ص 100). وبطريقة أو بأخرى كانت (إشتار) مفضلة ومقربة لجلالته، كان قد منحها منصب الأم العظمى دون غيرها من النسوة والوصيفات، ولحسن حظ الفتى موسى أنه سكن فؤاد جلالته، فانتابها شعور السكينة والهدوء اتجاهه، إلا أن جلالته راوده الشك، وانتابته الوسواس اتجاه الفتى. و الصحيح أن فرعون أمر بقتل الغلمان عاما وتركهم عاما، وذكروا أن هارون عليه السلام وُلِدَ في عام العفو، وأن موسى وُلِدَ في عام القتل، فضابت أمّه به ذرعا، وبمشيئة الله وعونه اهتدت إلى وضعه في صندوق وتلقيه في اليم، وتكون وجهته بأمر من الله إلى قصر فرعون، يقول الله عز وجل: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ٣٨ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ} 20.

و كما ذكرنا سابقا أن إشتار أصرت على الاحتفاظ بالصبي موسى، جاء في الرواية في أول لقاء للثلاثي (الأب الأعظم، الابن الأعظم والأم العظمى): «أما جلالته فأخذته الدهشة مأخذا سلب منه كل قواه، ورماه في دوامة من الظنون والهواجس (...) وقع اسم الصبي في نفسه موقع الصاعقة على الجذوع الهشة فألهبها نارا وزادتها اشتعالا» (الرواية، ص 99). إنه نفس الارتياح الذي امتلك فرعون الذي رفض دخول موسى القصر ورفض تبنيه أو حتى إيواؤه، لكن حب امرأة فرعون (آسيا) بموسى وتمسكها به أثرا في فرعون، حتى أسقط رأيه وجعله يغير مبدأه، يقول تعالى: {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩} 21. ويبدو في القصص القرآني أن «الله تعالى حبب الطفل في نفس امرأة فرعون، فطلبت منه عدم الفتك به، من خلال التطلع للاستنفاع منه وقت الحاجة، كالكبر مثلا، بل ولشدة عطفها على الطفل، اقترحت تبنيه كولد تفر عينها به. وحصل هذا دون شعور من آل فرعون، بأن ذلك الطفل الذي أنشأوا في بيتهم، لتقر به عيونهم، هو نفسه الذي اختاره الله تعالى لكي يجابهم ويحيل سعادتهم القائمة على ظلم بني إسرائيل إلى هم وغم جزاء لما قدمت أيديهم» 22، هذا وبصدد طلب امرأة جلالته الأب الأعظم من زوجها الإبقاء على حياة الصبي موسى، وتولي رعايته في كنف مملكة جلالته وتربيته وتعليمه والحرص على سلامته والتكفل بكل أوضاعه والسهر على تلبية حاجاته، «الصبي مائل بين يديه أكرر قول فرعون لزوجته.. نتخلص منه فإنه عدوي.. وقولها

قرة عين لي ولك.. فإن أعاد هذا كله فقد حكم على التاريخ أن يعيد نفسه من جديد وتكرر المآسي « (الرواية، ص61). و رأت فيه إشتار الابن الذي لم تنجبه قالت في حزم « سأصونك ولو خاصمت جلالته ومن في الأرض أجمعين.. سأحافظ عليك ولو خنت الولاء » (الرواية، ص 100)، ومنح جلالته للفتى موسى لقب البنوة العظمى، كما منح فرعون لموسى مكانة في قصره ووافق على بقاءه في القصر، وفرحت إشتار بقرار جلالته، كما فرحت آسيا من قبل عند اتخاذها موسى كولد لم تلده، فاعتنت به وأحبته حب الأم لابنها. فكما نشأ موسى النبي في قصر فرعون ، فقد نشأ الفتى موسى في قصر جلالته وحرص جلالته على تعليم موسى جميع الفنون والعلوم ليستعين به في حكمه « أريده حاذقا في كل الفنون والعلوم، شامل المعرفة خبير بأساليب السياسة حتى ينال شرف البنوة العظمى عن جدارة واستحقاق » (الرواية، ص108)، كما هو الحال مع موسى النبي « فقد تربى في بلاط فرعون كأحسن تربية مع أعظم المدرسين والمربين، كبر هناك وتعلم الحساب والهندسة والفلك والكيمياء والطبيعة واللغات »23، قال الله عز وجل عن ما آتاه موسى من علم ومعرفة: {وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآسَتْوَىٰ ۖ أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٤}24.

فحرص فرعون على تعليمه ليساعده في الحكم، كما هو الأمر عند جلالته ؛ فالفتى موسى تعلم ما عجزت عنه عقول العلماء في سنوات قلل، كان ذكيا ونبيها وسريع الإدراك والتعلم بآلات وأجهزة جد متطورة تحت إشراف أساتذة ومهندسين.

وقد تلاعب الروائي بالحادثة بشكل غيب فيه الشخصية الحقيقية للنبي موسى عن طريق التناص والإحالة، ولولا المغزى وبعض المؤشرات التي توحى بتناصه مع القرآن الكريم لما أيقنا أنّ الروائي اغترف من النص الديني، وقد تماشى ذلك مع مسارات السرد.

و كأي نهاية للقوم الظالمين في القص القرآني، فإن الله عز وجل ينتقم لأنبيائه والمرسلين لعباده الصالحين ؛ فكانت خاتمة فرعون وآله بإغراقهم في اليم، وجاء الغرق بعد إنذارات عديدة لهم توالى وراء بعضها، إلا أنه لم يأبه لذلك أو لم يدرك ولم يستوعب معانيها، إلا في اللحظات الأخيرة من عمره، يقول الحق عز وجل: ﴿وَجُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ ۚ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَءَاْمَنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩٠}25.

وقد جعله الله مثالا في الدنيا لمن عصى واستكبر وكفر بالله الواحد الأحد، وكذلك هي خاتمة جلالته ؛ التي كانت على يد الفتى موسى الذي عمل على إيقاظ الناس من سحر جلالته، وعمل على إعادة بعث جديد للعالم، فهدم كل ما بناه جلالته، لكن نهايته كانت على يد مساعده الأول (الكاهن الأعظم جوراس) « ألم أقل لك بأنك جئت تقتلنا جميعا.. أمها اللعين.. لقد قتلت الشعب كله.. قتلته بجهلك وكبريائك.. لقد أردت أن تستأثر بالعبودية من دون الله.. نسيت أن الله قادر على الانتقام.. لقد انتقم من أمثالك في العصور المتقدمة لما أرادوا أن يستأثروا بالملك والربوبية مثلك، ولكن الشعوب المسكينة دفعت الثمن.. ثمن التشتت.. ثمن الحرمان.. ثمن الهوان.. انطلق الشعاع من كف الكاهن وأصاب صدر جلالته » (الرواية، ص 306).

وهنا ينتهي التماثل المشهدي بين النص السابق (القرآن الكريم) والنص اللاحق "رواية جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسي" في وصف الزعامة الغاشمة التي قادها كل من "جلالته" و"فرعون"، ومساهمة الشخصية "موسى" في خلاص الإنسانية، ويقابلها تخلص "موسى عليه السلام" لبني إسرائيل، وكانت أوجه المماثلة بينهما متقاربة بشدة أو تكاد تتطابق، لكن شرط أن يجتهد القارئ في البحث، ويمعن النظر في تفاصيل أحداث الرواية ويحسن القراءة والتأويل، لم يتركها حبيب مونسي مطروحة مبتذلة لأي كان، ربّما لأنه يستهدف صنفا محددا من القراء، أو هي إستراتيجية لإثراء الرؤية الإسلامية التي يدافع عنها.

ثانيا : التناص مع الحديث النبوي:

يعد الحديث النبوي الشريف مصدر التشريع الثاني في العقيدة الإسلامية بعد القرآن الكريم؛ وذلك لما أوتي به الرسول صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم، وما تميزت به تلك الأحاديث من بلاغة وفصاحة، وما حملته من تعاليم الدين الإسلامي، تأسيسا على الوحي قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} 26{4}. والتناص مع الحديث النبوي من أنجح الوسائل لإيصال وتبليغ رسالة ما؛ لمكانة صاحبه العظيمة فهو قدوة البشرية وسيد الخلق، وأيضا لما تحمله تلك النصوص من جاذبية وجوهرية في أعماقها ترسخ في ذهن كل مسلم، « فلما تحمله تلك النصوص الدينية من دلالة وبلاغة ومن عناصر فنية وجمالية، جعلها مصدرا مهما عند الأدباء، الأمر الذي مكّنهم من استثمار ذلك إبداعيا، فمنحت لأعمالهم إحياء وتأثيرا لدى المتلقي » 27. فالحديث النبوي قدم للأدباء كمّا هائلا من الخيارات والمواضيع الإبداعية، مما يضفي على عملهم رقيا واضحا وهدفا ساميا على إنتاجه الأدبي، فهو النص الأبلغ بعد القرآن الكريم من حيث فصاحة اللفظ وشرف العبارة وإشراقها.

وحبيب (مونسي) من الأدباء الذين حرصوا على توظيف الحديث النبوي في كتاباته، فاستحضرها في نصوصه ونهل منها بما يتماشى مع مضمون كتابته وما يخدم نضج الإبداع، وخاصة في روايته "جلالته الأب الأعظم".

وإذا عدنا إلى أهم المصادر التي عملت على جمع الحديث النبوي كصحيح مسلم وصحيح البخاري، نجدها قد قسمت الأحاديث إلى مجموعة من الكتب : فكان لكل كتاب مجموعة من الأبواب المتصلة ببعضها البعض من حيث الموضوع، ومن بين هذه الكتب "كتاب الفتن وأشرط الساعة"، وهو كتاب جمع كل الفتن التي قد تغوي الإنسان المسلم منها: فتن يأجوج ومأجوج، فتنة خروج الدجال، فتنة ابن الصياد... وغيرها من الأبواب. وفتنة المسيح الدجال هي ما يتمحور حولها تناص (حبيب مونسي) مع الحديث النبوي، فحاول الربط بين ما جاء في الأحاديث حول المسيح الدجال وبين الشخصية البطلة وهي الأب الأعظم.

1- تمثل الحديث النبوي في رواية جلالته الأب الأعظم (فتنة المسيح الدجال):

فتنة الدجال من أخبار آخر الزمان مما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وحذر منه، قال تعالى: {وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} 28{7}. والمسيح الدجال آية من آيات الله، لم يذكر صراحة في القرآن الكريم هذا « كي لا يختلط على الناس اسم المسيح الدجال مع اسم

المسيح عيسى عليه السلام وقيل: أن عدم ذكر المسيح الدجال لأن شأنه حقير وهذا قول فيه نظر» 29، فهو آية من آيات الله التي يختبر بها عباده لقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّآ مُنْتَظِرُونَ ١٥٨ } 30. و إنما كانت مهمة التحذير منه موكلة للرسول الكريم، والدجال فتنة يكون علامة لقيام الساعة أو لقربها، وهو فتنة على المؤمن تصديق حدوثها لكي يسلم من شره ولا يخسر آخرته ولا دينه، ولا يفتن بهذا الرجل المخادع. فقد جاءت مجموعة من النصوص والأحاديث على لسان رسول الله، يحذر فيها الناس من فتنة الدجال منبع الكفر والضلال؛ فالمصطفى خاف على أمته وقلق عليها من سلكها الطريق المظلم « فحدثنا عبد الرحمن بن الجبير بن نفيير عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه من طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: (ما شأنكم)، قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال ذات غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: (غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفة على كل مسلم» 31. والدجال رجل آدمي، جاءت الأحاديث النبوية الشريفة بالكثير من صفاته ليتعرف الناس عليه ما إن يخرج عليهم، ليحذروا من شره؛ وهي صفات تميز بها الدجال عن غيره من خلق الله، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع خيرا إلا ودل الأمة الإسلامية عليه، ولا شرا إلا وحذرنا منه، والدجال من أعظم الفتن التي سنواجهها إلى قيام الساعة « فعن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» 32.

و فتنة الدجال نوعان: « نوع يراد به الشخص الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالصفات السابقة، ونوع يراد به جنس الفتنة» 33؛ فالمقصود من النوع الأول أن المسيح الدجال شخص غير معروف للأمة الإسلامية، مجهول في زمان مجيئه، فكانت تلك الأحاديث خاصة لوصفه شكلا وخلقة، ولكي تتوارثها الأمم ليدفعوا عن أنفسهم شره وشر فتنته، أما النوع الثاني فالمقصود به الباطل والقبح والظلم والضلال الذي سيأتي به المسيح الدجال والذي يعمل على تزيينه لضعفاء الدين والقلوب، لذلك سمي دجالا لتغطيته الحق بباطله.

ومنه كانت مجموع الأحاديث النبوية التي دارت حول المسيح الدجال كانت بمثابة مرجعية مهمة للكثير من الأدباء لمعالجة قضية ما، وذلك عن طريق الاستشهاد بها؛ لبعث الأعمال الكاتبة في صورة جديدة، قصد إحداث نوع من الإحساس بالجمالية في نفس القارئ، فيتذوق ذلك المستوى اللغوي الرفيع المستوحى من كلام الرسول الكريم، وليتذوق تلك المعاني التي يستنبطها الكاتب من تلك النصوص والمتسمة بروعتها وبصدقها وبشدة تفوقها على أي معنى آخر. كما أن تلك النصوص تعطي للعمل الأدبي صفة الديمومة والبقاء والخلود وتكسبه نوعا من القوة في المضمون وفاعلية مع القارئ، وذلك لما يشكله الدين الإسلامي من وجود وحضور قويين في نفس المؤمن الحق، ولما تتمتع به تلك النصوص من قوة تأثيرية؛ فالنماذج التي يقدمها الموروث الديني صالحة لأن تكون نماذج أدبية رائعة وراقية قد لا يجدها الأدباء في مصادر أخرى غيره. ورواية "جلالته الأب الأعظم" (لحبيب المونسي) لم تخل من هذه الاستشهادات والتي كانت بهدف التوعية بهذا الموروث النبوي الثري

الذي تركه رسولنا الكريم، فتماثلت شخصية المسيح الدجال مع شخصية جلالته في مجموعة من العناصر التي تلفت إنتباه أي قارئ للرواية مستذكرا من خلالها أحاديث الفتنة الخاصة بالدجال والتي جاءت على لسان الرسول الكريم محذرا الناس منها، ومن بينها:

أ- التماثل في مكان الخروج: ومن مجموع التناصات التي جمعت بين الرواية وبين قصة المسيح الدجال بدءا من مكان خروج جلالته ؛ إذ جاء في الرسالة الخامسة التي كتبها ميرزا من طهران يوم الثلاثاء 2026 قبل انتحاره يصف فيها الأب الأعظم قائلا: « لقد ظهر الرجل المعجزة.. الرجل الذي يحدث الانقلاب المرتجى.. فإذا بالرجل المعجزة يطل من أرض فارس حاملا راية الصلاح، يهدي الأمم الضائعة بفيض من العلم غزير » (الرواية، ص40)، وهذا المقطع السردي يتماهى مع الحديث النبوي في ذكر المكان الذي يظهر منه المسيح الدجال، فجاء الحديث: « إنّه خارج خلة بين الشام والعراق فعثا يمينا وعثا شمالا »34، وجاء في كتاب فتح الباري: « وأما من أين يخرج ؟ فمن قبل المشرق جزما ثم جاء في رواية أنّه يخرج من خراسان، أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر، وفي أخرى أنّه يخرج من أصبهان أخرجها مسلم »35، وفي رواية أخرى « ينزل عند باب دمشق الشرقي »36. ومنه فإنّ كل من "جلالته" و"الدجال" يخرجان من مكان واحد ؛ فجلالته يخرج من أرض فارس وهي الاسم القديم لدولة "إيران"، أمّا في الحديث فذكر أنّ الدجال خارج من قبل المشرق وتحديدا من مكان يقال له "خراسان" وهي مدينة كبيرة تقع في "إيران"، وذكر أيضا أنّه يخرج من "أصفهان" وهي أيضا بلدة فارسية معروفة في إيران، فهنا تشاركنا في مكان خروج كل منهما: جلالته من بلاد فارس وهي إيران، والدجال من خراسان أو أصفهان وهما بلدتان في إيران.

ب- التماثل في الصفات الخلقية: أمّا عن صفات كل من جلالته ومن الدجال فقد كانت مشتركة ؛ فقد جاءت صفات جلالته في العديد من المواضع في الرواية وعلى ألسن العديد من شخصياتها، بدأ برسالة "ميرزا" عندما تحدث فيها على جلالته حين يقول « ولما نظرت في وجهه.. رأيت شكلا كأنه اللعنة في وجه الدنيا.. لعنة في وجه القيم والموازن.. فالرجل قصير القامة، أسمر اللون، دميم الخلقة، أعور.. وكأنّه جمع كل ذلك قصدا لكي لا تكون في طلعه على النَّاس طلعة الجبابة الذين اعتنوا بالمظاهر.. » (الرواية، ص41)، وجاء في موضع آخر من الرواية « كان الرجل بين الممتلئ والنحيل، قصير القامة، تميل قسماته إلى السمرة، بل إلى الدمامة » (الرواية، ص56)، وجاء في مخيلة الوصيفة إشتار صورة جلالته « ترى الرجل القصير، الأسمر الدميم، الأعور » (الرواية، ص72).

أمّا في الحديث النبوي فقد ورد وصف الدجال على الشاكلة الآتية « حدثنا شعبة بن قتادة قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنّه أعور، وإنّ ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه ك-ف-ر »37. وجاء في حديث آخر: « وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّي حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا، إنّ المسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا حجرا، فإنّ ألبس عليكم فاعلموا أنّ ربكم ليس بأعور »38. وجاء في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري وصفا شارحا: « وقد ورد في حديث تميم

الداري في شأن الدجال أنه أعظم إنسان، ووجه الجمع أنه لا يبعد أن يكون قصيرا بطينا عظيم الخلقة، قال القاري وهو المناسب لكونه كثير الفتنة أو العظمة مصروفة إلى الهيبة، قيل يحتمل أن الله يغيره عند الخروج (أفجع): بفاء فجاء فجيم كأسود هو الذي إذا مشى باعد بين رجله كالمختن فهو من جملة عيوبه كذا من مراقبة الصعود، (جعد): بفتح الجيم فسكون العين وهو من الشعر خلاف البسط أو القصير»³⁹. كما جاء أيضا فيما قوله: « كذا في القاموس (أعور): أي إحدى عينيه (مطموس العين) أي ممسوحها بالنظر إلى الأخرى: قال في النهاية: إن الدجال مطموس العين أي ممسوحها من غير بخص والطمس استئصال أثر الشيء، والدجال سمي بالمسيح لأن عينه الواحدة ممسوحة ويقال رجل ممسوح الوجه ومسيح وهو أن لا يبقى شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى»⁴⁰. وقد جمع كتاب فتح الباري مجموعة من الصفات حول المسيح الدجال في أنه قصير أفجع، مطموس العين، أجعد الشعر، أحمر الوجنتان، مكتوب بين عينيه كافر، أجلى الجبهة، عريض النحر، عقيم لا يولد. فكل هذه الأوصاف والأحوال التي جاءت في الدجال، سبها تعريف الناس عليه وأخذ الحذر من شره، وهي نفسها صفات جلالته في الرواية: فالدجال كان عظيم الخلقة ضخم الجسم والجثة، قصير القامة بطينا، عظيم الرأس وعريض النحر أي الرقبة، وأفجع فهناك تباعد بين ساقيه أو تباعد الفخذين، شعره كثيف أجعد أو ما ذكر في الحديث قطط، عينه اليمنى مطموسة ممسوحة، ليست بارزة ولا غائرة، واسع الجبهة، ذو بشرة سمراء، فكل هذه الصفات تشاركها الدجال مع جلالته، تشاركها في القبح والدمامة وفي الكفر.

ج- التماثل في سرعة الانتشار: أما عن خروج "جلالته" وسرعة انتشاره في الأرض؛ فقد جاء في الرواية أنه قد انتشر خبره في الأرض بسرعة عجيبة فسيطر على عقول وقلوب الناس « سرى خبر الرجل في أطراف الكرة الأرضية في سرعة عجيبة وكأنه النار في الهشيم، حتى لامس القلوب وطرق أبوابها، وفك أقفالها، وكأن ذكره سحابة عظيمة لفت الأرض وأمطرت في كل شبر منها خبره وقصته وزادت على ذلك أن أنبتت في القلوب نباتها، سرعان ما تحول إلى شيء من الإعجاب تبدلت مركباته إلى شيء من الحب خالطه نوع من الانصياع والطاعة (...) وهم بين الرهبة والرغبة يستشعرون حلاوة الإقبال عليه » (الرواية، ص 43، 42). فتماهت هذه الأسطر مع نص الحديث في خبر خروج الدجال ولبوئه في الأرض وقدراته الخارقة: « حدثنا عبد الرحمان بن جبير بن نفيير عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة [...] إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، (...) قلنا يا رسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له»⁴¹. فجلالته انتشر خبره في الأرض بسرعة عجيبة كما هو معي الدجال، الذي سيكون إسرعه في الأرض كالغيث الذي تدفعه الريح بقوة وسرعة، فيؤمن به الناس ويعجبون به، فكما انصاعوا للدجال في الحديث انصاعوا لجلالته في الرواية، فكليهما أثرا على الناس ما إن خرجا، تأثيرا يجمع بين الرهبة والرغبة.

د- التماثل في ادعاء الربوبية: كما أن جلالته دعا إلى التخلص من الأديان والقيم، وادعى الربوبية، فترفع عن الله، وأظهر قدراته على تلبية حاجيات الناس وذلك كما جاء في الرواية « لقد عرضنا عليهم وسيلة للعلاج

أحب إلى أنفسهم فقلنا تخلصوا من الماضي.. تخلصوا مما له صلة بالسلاسل التي تكبلكم.. أحرقوا الكتب.. أقتلوا الدراويش الذين احتكروا لأنفسهم صحبة الخالق.. وها نحن في أعينهم أرفع من تلك الصور من تلك التي رسموها لأربابهم في أذهانهم» (الرواية، ص 59)، ويضيف مبرزا قدراته ومؤكدا ربوبيته «لأننا نشير الإشارة الخفيفة فينال الراغب رغبته دون أن يتلفظ بها.. إنهم يريدون رباً من هذا الطراز.. وقد قدمنا إلههم الرب المطلوب» (الرواية، ص 59). و نجد أن كلام جلالته تقارب مع حديث أخرجه ابن ماجه والحاكم «عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، إنّه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي، ثمّ يثني فيقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنّه أعور، وإنّ ربكم ليس بأعور»⁴². فالأمور والقدرات التي أعطاها الله للدجال لفتنة الناس واختبارهم، جعلته يدعي الربوبية، وقدراته الخارقة على إحياء الموتى وإدهاش الناس في مختلف الأمور، كما هو حال جلالته الذي هو أيضا ادعى الربوبية والألوهية، فرسم لنفسه صورته الإله وأعطى للعديد رغباتهم دون أن يتلفظوا بها.

هـ- التماثل في القوم الذين سيتبعونه: أما عن من اتبع جلالته فإنّه خلق كثير من كل أنحاء العالم فلقد «تحركت الجموع في حركة واحدة ضخمة صاحبة في كل شبر من أطراف الأرض، تمزق ستائرهما، وتقد سلاسلها وأغلالها، وسارت نحو القبلة الجديدة تقدم ولاءها.. وسكنت النزاعات لتتحول إلى جماعات تتألف من جديد ترفع على أعلامها ومناراتها اسم الرجل المعجزة، وقد رسمت له الشعارات الخلافة اعترافا بالجميل وتحولت همه الناس نحو التوحيد» (الرواية، ص 45). وهنا تماهت الرواية مع ما جاء في الأثر في من يتبع الدجال «لا ينجو من فتنة الدجال إلا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة»⁴³. كما ذكر الثائر أتباع المسيح الدجال في العديد من الأحاديث منها: «فقد روى مسلم بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يتبع الدجال من يهود أصهبان سبعون ألفا، عليهم الطيالة)، وفي حديث أبي بكر (يتبعه أقوام كأنّ وجوههم المجان المطرقة)»⁴⁴. فتعددت قوة كل من الدجال وجلالته، وتنوعت فتنتهما، اختلفت أساليهما في إضلال الناس كان سببا في إتباعهما، والإيمان باللوهيتما، فأكثر من اتبع الدجال هم اليهود عليهم نوع من اللباس خال من التفصيل والخيطة يلبس على الرأس، ويتبعه أقوام رؤوسهم قصيرة ومستديرة، أمّا جلالته تحركت له عديد من الجموع تألفت واجتمعت، رافعة اسمه خاشعة له. ثم واصل (حبيب مونسي) حديثه عن الجيش النسوي الذي تبع جلالته حين قال: «لقد استطاع الرجل المعجزة أن ينشئ لنفسه حريما فريدا، حشد فيه أولا كل فتاة أرادت أن تهب نفسها لجلالته خلال تقلبه في أطراف الأرض، وعاد بعد جولته بجيش من الحسنات» (الرواية، ص 67)، وفي حديث آخر «ولكن جلالته لم ينس الاعتناء بشخصه العناية الخاصة، فحريمه محرم على الرجال كافة، لا يتجرأ أحدهم على الاقتراب منه (...) جيش من الحسنات المدربات على الفنون القتالية والردع» (الرواية، ص 68). وهذه النصوص في الرواية تنطبق على ما جاء في الحديث النبوي عن إتباع النساء للدجال والخروج إليه، «عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقناة -واد بالمدينة- فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إنّ الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وإلى ابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطا مخافة أن تخرج إليه»⁴⁵. فالنساء من أكثر إتباعا للمسيح الدجال لعلها؛ بسبب الجهل والامية

الدينية ونقص فهمهم للدين، وتهافتهم على الدنيا وزينتها، وهذا ليس بالمطلق لكنّه رأي قابل للنظر فيه ولتناقشته، فكما ستتابع النساء المسيح الدّجال كما جاء في الحديث حيث أنّ الرّجل يرجع إلى نساء بيته ويقيدهم، فإنّ جلالته أيضا تماهى مع الدّجال في هذا الشّأن كون النساء يتبعنه فيشكل جيشا من السنوات اللاتي لا يخالفن رأيه ولا رغبته. فقصة المسيح الدّجال بما تتضمنه من صفات خلقية تتصل بالدّجال ومكان خروجه للناس، ومن من اتبعه من رجال ونساء وغيرها من المواضيع؛ كانت المتكئ الأساس الذي بنى عليه مونسي أحداث روايته، فالفتنة التي ستحل بالبشرية في نهاية العالم بسبب الدّجال والذي هو علامة من علامات الساعة الكبرى، تنطبق على الفتنة التي جاء بها جلالته، والتي هي إشارة لنهاية العالم وللخراب الذي سيؤول إليه، وللفتنة التي ستصيب النّاس والتي ستؤدي إلى هلاكهم.

خاتمة

و في الأخير نصل إلى أن الكتابة الروائية في حاجة إلى مثل هذه الحيوية الأدبية من تداخل و تمازج بين النصوص، فإنّ (حبيب مونسي) قد عمد إلى التشرب من النصوص الدينية باعتبارها مرجعيات تضيفي للرواية أصالة و تاريخا حقيقيا يتصل بالواقع الاجتماعي و العنصر التخيلي الذي تقدمه الرواية، فالكاتب على استيعاب تام و إلمام شامل بالدلالات القرآنية والنبوية التي وظفها، و هذا ما ساعده في نسج أحداث الرواية بإحكام، و ربطها بالواقع الاجتماعي.

هوامش وإحالات المقال

- ¹- محمد عزام: نظرية التناص، مجلة البيان الكويتية، العدد 6، نوفمبر 2000.
- ²- أحمد الزعبي: التناص نظريا وتطبيقيا، (مرجع سابق)، ص 37.
- ³- نجوى منصور: (التعلق النصي بين الرواية العربية والخطاب الديني: "النفس والقيامة لفرج الحوار أنموذجا")، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 8، 2011.
- ⁴- أدونيس: النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.س)، ص 29.
- ⁵- ناصر حامد أبو زيد: مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، مكتبة الفكر الجديد، الدار البيضاء-المغرب، ط 2، 2014، ص 9.
- ⁶- المرجع نفسه ص 9.
- ⁷- صفاء عبد السلام جعفر: الحضارة الغربية الحديثة بين النشأة والتدهور "رؤية نقدية في فلسفة الحضارة"، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية-مصر، ط 01، 1998، ص 13.
- ⁸- القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع، سورة الزخرف، الآية 54.
- ⁹- نضال عباس جبر دويكات: قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة-دراسة مقارنة-، أطروحة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، 2006، ص 26.
- ¹⁰- حبيب مونسي: جلالته الأب الأعظم "الخطر الآتي من المستقبل"، دار المغرب، وهران-الجزائر، 1999، ص 58.
- ¹¹- سورة القصص، الآية 04.
- ¹²- عماد الدين بن كثير: قصص الأنبياء، تح: عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، مصر، ط 05، 1997، ص 378.
- ¹³- سورة الفجر، من الآية 10 إلى 12.
- ¹⁴- سورة البقرة، الآية 48.
- ¹⁵- زاهية الدجاني: المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت-لبنان، 1998 (د.ط)، ص 45.
- ¹⁶- المرجع نفسه: ص 36.
- ¹⁷- سورة القصص، من الآية 1 إلى 4.

- ¹⁸- عماد الدين بن كثير: قصص الأنبياء، (مرجع سابق)، ص 378.
- ¹⁹- سورة النازعات، من الآية 22 إلى 24.
- ²⁰- سورة طه، الآيتان 38، 39.
- ²¹- سورة القصص، الآية 9.
- ²²- زاهية الدجاني: المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون، (مرجع سابق)، ص 48.
- ²³- علي يوسف علي: موسى عليه السلام، دار الجيل، بيروت-لبنان، 1987، ط 01، ص 27.
- ²⁴- سورة القصص، الآية 13.
- ²⁵- سورة يونس، الآية 90.
- ²⁶- سورة النجم، الآيتان 3، 4.
- ²⁷- نوال عبد الرحمان شوابكة: "توظيف الحديث النبوي في شعر ابن سهل"، نشر بتاريخ: 2014/11/10، تاريخ الزيارة: 2020/6/03. موقع الأنترنت: <http://journals.ugaza.edu.ps>
- ²⁸- سورة الحشر، الآية 7.
- ²⁹- أبو خالد ناصر السيف: تمام المنة في شرح أصول السنة، دار ابن خزيمة، (د.ط)، 1427هـ، ص 31.
- ³⁰- سورة الأنعام، الآية 159.
- ³¹- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تح: بن محمد الفارابي أبو قتيبة، باب ذكر الدجال، مجلد 2، دار طيبة، (د.ب.ن)، ط 01، 2006، ص 1341، 1342.
- ³²- عبد الرحمان السعدي: فتنة الدجال وأجوج ومأجوج، دار ابن الجوزي، الدمام-السعودية، ط 02، 2002، ص 20.
- ³³- المرجع نفسه: ص 28.
- ³⁴- صحيح مسلم بشرح النووي: ج 18، المطبعة المصرية، القاهرة-مصر، (د.ط)، (د.س)، ص 65.
- ³⁵- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (كتاب الفتن باب ذكر الدجال)، ج 13، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط 03، 1985، ص 76، 77.
- ³⁶- المرجع نفسه: ص 77.
- ³⁷- مسلم بن الحجاج: صحيح المسلم، تح: محمد الفارابي أبو قتيبة، (مرجع سابق)، ص 1340.
- ³⁸- محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، مجلد 1، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط 03، (د.س)، ص 483.
- ³⁹39- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (مرجع سابق)، ص 82.
- ⁴⁰- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.
- ⁴¹- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تح: محمد الفارابي أبو قتيبة، (مرجع سابق)، ص 1341، 1342.
- ⁴²- ندا أبو أحمد: "الدار الآخرة (أشراط الساعة الكبرى-المسيح الدجال)"، شبكة الألوكة، (د.ت)، موقع الأنترنت: www.alukah.net، تاريخ الزيارة: 2020/05/26.
- ⁴³- أحمد علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (مرجع سابق)، ص 77.
- ⁴⁴- ندا أبو أحمد: الدار الآخرة أشراط الساعة الكبرى-المسيح الدجال، (مرجع سابق)، ص 55، 56.
- ⁴⁵- محمد صالح المنجد: "فتنة المسيح الدجال"، (د.ت)، موقع الأنترنت: <http://islamqa.info/ar/8806>، تاريخ الزيارة: 2020 / 5 / 7.